الانسان والطبيب والمترجم

حنين بن اسحق العبادي

(١٩٤ ـ ٢٦٠ هـ/٨٠٩ ـ ٨٧٣ م)

الدكتور رشيد الجميلي

الانسان والطبيب والمترجم

حنين بن اسحق العبادي

(١٩٤ ـ ٢٦٠ هـ/٨٠٩ ـ ٨٧٣ م)

الدكتور رشيد الجميلي

يعتبر حنين بن اسحق العبادي[١] ، أحد مشاهير النقلة الذين مثلوا

---

١ ـ العبادي : بفتح العين ، وتخفيف الباء ، والعباد بالفتح قبائل شتى من بطون العرب ، اجتمعوا على النصرانية بالحيرة والنسبة اليها عبادي ٠ قال الشاعر :

يسقيكها من بني العبـاد رشا منتسـب عيـــده الاحـــد

= ابن أبي أصيبعة ، موفق الدين أبو العباس أحمد : عيون الانباء في طبقات الاطباء ، جـ ٢ ، ص ١٣٩ (بيروت ، ١٩٥٧) ٠

أما أبو العباس شمس الدين أحمد المعروف بابن خلكان ، فيختلف مع ابن أبي أصيبعة في مسألة ضبط كلمة العبادي حيث يقول : « العبادي : بكسر العين المهملة ، وفتح الباء الموحدة ٠٠٠ هذه النسبة الى عباد الحيرة » = وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، جـ ١ ، ص ١٨٦ (بيروت ، ١٩٦٩) ٠

وقال هؤلاء العباد نريد أن نتسمى بعبيد الله ، ثم قالوا : العبيد اسم يشارك فيه المخلوق الخالق في التسمية لانه يقال عبيد الله وعبيد فلان ٠ والعباد ، اسم اختص الله به ، فيقال عباد الله ولا يقال عباد فلان فتسموا بالعباد = القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ١٩٩ (القاهرة ، ١٣٢٦ هـ) ٠

←

ذلك الدور الرائع في مجال ازدهـار حركة الترجمة في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي . لقد خدم حنين بن اسحق بعمله وفنه في

→

والعرب تسمي كل من دان الملك عابدا له ، ومن ذلك قيل لأهل الحيرة العباد ، وذلك لانهم كانوا أهل طاعة لملوك العجم .

والحيرة : بكسر الحاء المهملة ، وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وبعدها هاء ، وهي مدينة قديمة كانت لبني المنذر ومن تقدمهم من ملوك العرب مثل عمرو بن عدي اللخمي وهو جد بني المنذر ومن بعده من أبنائه ، وكانت من قبل عمرو لخاله جذيمة الابرش الأزدي ... وخربت الحيرة ، وبنيت الكوفة في الاسلام على ظهرها في سنة سبع عشرة للهجرة ، بناها عمر بن الخطاب على يد سعد بن أبي وقاص = ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جـ ١ ، ص ١٨٦ .

وقد خلّف حنين بن اسحق ولدين ، سمى أحدهما اسحق والآخر داود = صاعد الاندلسي ، أبو القاسم : طبقات الامم ، ص ٤٨ (النجف الاشرف ، ١٩٦٧) .

أما فيما يتعلق بالسنة التي توفي فيها حنين بن اسحق ، فيذكر أبو الفرج محمد بن اسحـق المعروف بابن النديم أن حنينا قد توفي في سنـة ٢٦٠ هـ (٨٧٣ م) = الفهرست ، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥ (ليبزك ، ١٨٧١) . كذلـك صاعد الاندلسي : طبقات الامم ، ص ٤٧ ـ ٤٨ ، القفطي : تاريخ الحكماء ، ص ١٧٣ (القاهرة ، بدون تاريخ) ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جـ ٢ ص ٢١٨ .

أما من خالف هذا الاجماع لمصادرنا بخصوص السنة التي توفي فيها حنين ابن اسحق ، فهو ابن أبي أصيبعة الذي يرى أن سنة ٢٦٤ هـ (٨٧٧ م) هي السنة التي توفي فيها حنين بن اسحق وليس سنة ٢٦٠ (٨٧٣ م) كما أجمعت عليها المصادر المذكورة آنفا = عيون الانباء ، جـ ٢ ، ص ١٣٩ .

وبصدد آراء الباحثين المحدثين في هذا المجال ، فقد اختلفت هي الاخرى تبعا لاختلاف المصادر بهذا الشأن . فالاستاذ ديليسي أوليري De Lacy O'Leary يرى أن حنين بن اسحق قد توفي في سنة ٢٦٣ هـ (٨٧٦ م) =

Arabic Thought and its place in History, p. 112, London, 1958.

←

بالعربية والفارسية والسريانية ، وان دل هذا على شيء فانما يدل على هذا المضمار تلك الحركة الجليلة أجلّ خدمة يمكن أن يقوم بها ناقل

→

بينما يرى الدكتور فيليب حتي ، أن سنة ٢٦٠ هـ (٨٧٣ م) هي السنة التي توفي فيها حنين بن اسحق =

The Arabs A Short History, p. 91, London, 1935.

كذلك كحالة ، عمر رضا : معجم المؤلفين ، جـ ٤ ، ص ٨٧ (دمشق ، ١٩٥٧) ، فروخ ، عمر : تاريخ العلوم عند العرب ، ص ١١٧ ـ ١١٨ ، (بيروت ، ١٩٧٠) ، دي بور ، ت٠ ج : تاريخ الفلسفة في الاسلام ، ص ٣٧ (القاهرة ، ١٩٥٧) ٠

أما الدكتور ماكس مايرهوف فيرى أن رأي ابن أبي أصيبعة هو الصحيح ويعتمده في كتابه عن حنين بن اسحق =

Arnold, Thomas, The Legacy of Islam, p. 316, Oxford, 1931.

كذلك ضيف ، شوقي : العصر العباسي الاول ، ص ١١٤ (القاهرة ، ١٩٧٥) ٠

أما الاستاذ جرجي زيدان فيرى أن سنة ٢٨٨ هـ (٩٠٠ م) هي السنة التي توفي فيها حنين بن اسحق = تاريخ آداب اللغة العربية ، جـ ٢ ، ص ٣٤٤ (القاهرة ، ١٩٣٠) ٠

والواقع أن ما ذكره الاستاذ زيدان ، هو أبعد ما يكون عن الصواب ٠ ومن جهة أخرى فان التاريخ الذي ذكره الاستاذ زيدان (٢٨٨ هـ/٩٠٠ م) هو تاريخ وفاة الطبيب والمترجم ثابت بن قره الحراني الصابئي ، وليس تاريخ وفاة حنين بن اسحق العبادي ٠

وفي رأيي أن سنة ٢٦٠ هـ/٨٧٣ م هي السنة التي توفي فيها حنين بن اسحق ٠ فهي السنة التي أجمعت عليها معظم المصادر التي ترجمت لحنين ، ولا نرى مبررا لاعتماد البعض من الباحثين المحدثين لرواية ابن أبي أصيبعة بهذا الخصوص خاصة وأن الفارق بين التاريخين يكاد يكون عديم الاهمية اذا ما قورن بفوارق أخرى أكثر تباينا في هذا المجال ، مثل ذلك الذي ورد عند ابن جلجل ، والذي يبين لنا أن حنين بن اسحق كان قد توفي زمن الخليفة المتوكل (٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ/٨٤٧ ـ ٨٦٢ م) = طبقات الاطباء والحكماء ، ص ٧٠ (القاهرة ، ١٩٥٥) ٠

مثله ، وعلى ضوء ما كان يحيط به من عوامل مختلفة فعلت فعلها في ذلك الدور الذي قام به حنين في عملية الترجمة .

لقد كان حنين بن اسحق شخصية مرموقة ، قلَّ أن نجد لها مثيلا في قائمة أسماء النقلة الذين سلكوا السبيل ذاته ، فقد انفرد حنين بسعرفته بعدد اللغات التي كان ينقل منها ، وبدقة ما ينقل وغزارة ذلك . هذا اضافة الى اتباعه لأفضل أسلوب في حركة الترجمة ذاعت شهرته ذيوع شهرة حنين في هذا المجال ، وأعني به أسلوب الترجمة بالمعنى .

لقد أتقن حنين العبادي أربع لغات هي : السريانية ، والعربيـة ، واليونانية ، والفارسية ، وكان بها ناقلا مجيدا الى أقصى درجات الدقة والجودة . ومما يدلنا على براعة حنين في هذه اللغات ، هو ما خلفه لنا من مصنفات نلحظ من خلالها معرفته التامة بما ذكرنا من لغات . ففي مجال أسماء العقاقـير نرى أن حنين بن اسحـق ــ في بعض الاحيان ــ كان يضع للمصطلح اليوناني في اسم عقار ما ، ما يقابله مهارته في معرفة مفردات تلك اللغات من جهة ، وعلى تمكنه من المادة التي هو قائم على ترجمتها الى اللغتين السريانية والعربية من جهة ثانية . وبهذا الخصوص يذكر ابن النديم : « كان حنين بن اسحق فاضلا في صناعة الطب ، فصيحا باللغة اليونانية والسريانية والعربية »[٢] .

وفي قول ابن أبي أصيبعة بهذا الصدد ، يكتمل عندنا معنى ما قدمنا له آنفا حيث يقول : « وكان حنين عالما باللغات غريبها ومستعملها : العربية ، والسريانية ، واليونانية ، والفارسية ، ونقله في غاية مـن

---

٢ ــ الفهرست ، ص ٢٩٤ .

الجودة »[٣] . ثم اختير حنين للترجمة وائتمن عليها ، ووضع له كتابا عالمين بالترجمة ، كانوا يترجمون ويتصفح حنين ما ترجموا كحبيش بن الحسن الأعسم »[٤] .

كان حنين بن اسحق واحدا من أربعة نقلة ، قد نالوا شهرة فائقة في نقولهم المختلفة الى العربية ، الامر الذي ميزهم عن سواهم من نقلة هذا العصر . وبهذا الصدد يذكر صاعد الاندلسي : « أبو زيد حنين بن اسحق ، أحد أئمة التراجم بالاسلام ... وان حذاق الترجمة بالاسلام أربعة : حنين بن اسحق العبادي ، ويعقوب بن اسحق الكندي ، وثابت بن قرة الحراني ، وعمر بن الفرخان الطبري »[٥] .

أما منهج حنين في الترجمة فيقوم على أساس الحصول على النسخة الاصلية لأي كتاب يروم ترجمته ، أي أن حنين كان يفضل التعامل مع أصل الكتاب المراد ترجمته ، وفي حالة تعذر الاصل ، نرى أن حنينا لا يعتمد على نسخة واحدة في مثل هذه الحالة ، بل يرجع الى نسختين فأكثر للمقارنة والربط فيما بينها ، الامر الذي أضفى على ترجماته طابع الدقة . ومما زاد في ترجماته أهمية ، أنه كان يلجأ الى الطريقة التي عرفت باسمه ، وأعني بها طريقة الترجمة بالمعنى .

---

٣ ــ عيون الانباء ، ج ٢ ، ص ١٧١ . كذلك الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم : الملل والنحل ، ج ٣ ، ص ٦ (القاهرة ، ١٩٥٦) ، البيهقي ، ظهر الدين أبو الحسن علي : تاريخ حكماء الاسلام ، ص ١٦ ، (دمشق ، ١٩٤٦) ، البيهقي : تتمة صوان الحكمة ، ص ٣ (لاهور ، ١٣٥١ هـ) .

٤ ــ ابن جلجل : طبقات الاطباء والحكماء ، ص ٦٨ ــ ٦٩ .

٥ ــ طبقات الامم ، ص ٤٧ ــ ٤٨ . كذلك الشهرستاني : الملل والنحل ، ج ٣ ، ص ٦ ، البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام ، ص ١٦ ، البيهقي : تتمة صوان الحكمة ، ص ٣ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الانباء ، ج ٢ ، ص ١٧١ .

كان أسلوب حنين في الترجمة رائعا ووافيا بأغراض علم اللغـات الحديث تماما . وكان ينتقد في عنف تراجم المتقدمين وتراجمه هو أيضا لما كان شابا ، وقد ترجم معظمها من جديد . وكان حنين يتجشم رحلات طويلة بغية الحصول على النسخ الكاملة ، مثال ذلـك ، كتاب (في البرهان) لجالينوس الذي كان نادر الوجود في القرن الثالث الهجري والذي قال عنه حنين بن اسحق العبادي : « انني بحثت عنه بحثا دقيقا وجبت في طلبه أرجاء العراق وسوريا وفلسطين ومصر الى أن وصلت الى الاسكندرية ، لكني لم أظفر الا بما يقرب من نصفه في دمشق »[٦] .

وعلى الرغم من شهرة حنين بن اسحق في هذا المجال من أساليب الترجمة (الترجمة بالمعنى) ، الا أننا نجد من يرى أن حنين بن اسحق كان يترجم ترجمة حرفية ، والاستاذ برجستراسر مثال على ذلك حيث يذكر في هذا الخصوص : (ان حنيناً وحبيشاً كانا يترجمان ترجمة حرفية حتى ولو ضحيا في ذلك بجمال اللغة وتنسيق ديباجتها »[٧] .

والواقع أن هذا القول يناقض تماما لما جاء عن حنين وعرف به في هذا الباب ، فقد كان حنين بن اسحق بعيـدا كل البعد عن الترجمة الحرفية لمحاذيرها الكثيرة ، وان حنيناً قد بلغ من العلم والدراية ما جعله يتجنب هذه الطريقة ويلتفت الى طريقته التي اشتهر بها ، والتي هي الطريقة المثلى للترجمة في كل زمان ومكان . ومن ناحية أخرى ، أود أن أبين هنا ، أن الترجمة من لغة الى لغة أخرى لا يمكنها أن تتشابه مع ترجمة مماثلة لها في الموضوع والاختصاص واللغة ولكن على يد ناقل آخر ، بل ولا أكون مغاليا اذا ما قلت انها سوف لن تتشابه حتى ولو

---

٦ ـ العشر مقالات في العين ، ص ٢٩ (القاهرة ، ١٩٢٠) .

٧ ـ العبادي : العشر مقالات في العين ، ص ٣٠ من المقدمة .

كانت على يد نفس الناقل ومهما اتبع في أسلوب ترجمتها سواء أكانت الترجمة الحرفية أم الترجمة بالمعنى ، حتى لو كانت الترجمة في صميم اختصاص ذلك الناقل كما هو الحال عند النقلة في هذا الوقت من تاريخ حركة الترجمة وبخاصة عند حنين بن اسحق ، حيث كانت نقوله في العلوم التي برع بها ، وهذا ما جعـل تلك الترجمات في غاية الجودة والاتقان .

واذا ما نظرنا الى الترجمات التي قام بها حنين بن اسحق ، لرأيناها قد تركزت بصفة خاصة على المصنفاتاليونانية . وفي اعتقادي أن سبب ذلك يرجع الى براعة حنين التامة في هذه اللغة . ومن جهة ثانية فان معظم المصنفات الطبية والفلسفية ذات الشهرة الواسعـة ، كانت مصنفات يونانية ، ولما كانت هذه المصنفات هي المطلوبة أولا في هذا الوقت بصفة خاصة ، لذا كان أمر طبيعي أن يُقبـل حنين على ترجمة هذا التراث اليوناني في هذه العلوم ، أضف الى ذلك اهتمام حنين الخاص بالتراث اليوناني ، وذلك لارتباط هذا التراث بعمل حنين ، منذ عزم صاحبنا على تعلم مهنة الطب واحكامه اللسان اليوناني لتحقيق ذلك ، الامر الذي ترتب معه الى أن يكون نصيب هذا التراث من الترجمة أكثر من أي تراث آخر أقدم حنين على ترجمته . وبهـذا الشأن يذكر ابن خلكان : « ... وأكثر كتب الحكماء والاطباء كانت بلغة اليونـان فعربت ، وكان حنين المذكور أشد الجماعة اعتناء بتعريبها ، ولولا ذلك التعريب لما انتفع أحد بتلك العلوم ، لعدم المعرفة بلسان اليونان »[٨] .

واذا نحن أدركنا أنه أخذ يترجم عن اليونانية ، وقد اعترضته مئات الكلمات اليونانية التي لم يعرف لها نظير في اللغة السريانية والعربية ،

---

٨ ـ وفيات الاعيان ، جـ ٢ ، ص ٢١٧ ـ ٢١٨ .

من مصطلحات طبية وفلسفية ، وأسماء للنبات والحيوان والهيئة وغيرها، وانه كان مضطرا أن يوجد لها ألفاظا عربية تقابلها ان أمكن ، وأن يصقل الكلمات الاجنبية صقلا عربيا ان لم يتمكن ، أدركنا قدر عنائه ومبلغ نجاحه[٩] .

ومن ناحية أخرى ، أود الاشارة هنا الى أن حنين بن اسحق كان ينقل من السريانية الى العربية بعض المصنفات التي كان اسحق بن حنين قد ترجمها من اليونانية الى السريانية ، أي أن العملية كانت متبادلة تقريبا بين حنين وولده اسحق في مجال الترجمة من اليونانية الى العربية عبر السريانية . وبهذا الصدد نذكر هنا القول التالي لحنين بن اسحق ـ في سياق حديثه عن أسماء كتب جالينوس ـ كدليل لما أوردناه آنفاً .

قال حنين بن اسحق : « ... ولم أكن قد ترجمت هذه المقالة (أي مقالة أسماء كتب جالينوس) الى السريانية بعد ، ترجمها اسحق ابني . وأما الى العربية فبعد ترجمتها لأبي الحسن أحمد بن موسى ... ولا أعلم أن أحدا ترجمها غيري »[١٠] .

كان حنين بن اسحق أمينا في نقله ، حريصا كل الحرص على أداء النص اليوناني أداء صادقا ، وأعانه على ذلك تمكنه من اليونانية والسريانية وقدرته على التعبير العربي السليم ، وكان حنين يحقق ويدقق ويصحح ويراجع ، ولا يأنف أن يعيد ترجمة ما ساءت ترجمته . وبرغم

---

٩ ـ أمين ، أحمد : ضحى الاسلام ، ج ١ ، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥ (القاهرة ، ١٩٥٦) .

١٠ ـ العسادي : أحوال كتاب في تفصيل كتب جالينوس وفيما نقله حنين من كتب جالينوس ،ص ٤ ، مخطوط تحت رقم ٢٧٦ في المكتبة العامة لجامعة الاسكندرية .

انتسابه الى الثقافة السريانية ، لم يتردد في أن يعلن قصور بعض مترجماته القديمة ، وحاول أن يتدارك نقصها عن طريق الترجمة العربية .

لقد سلم حنين بن اسحق بالاخذ والعطاء بين اللغات ، فاذا كانت العربية قد أخذت ما أخذت عن السريانية ، فان هذه بدورها قد تغذت من أختها العربية .

كان أسلوب حنين بن اسحق سهل وواضح ، وفي سبيل الوضوح لا يرى غضاضة في استعمال ألفاظ وتعبيرات دارجة ، وتخير اللفظ الملائم من مستلزمات الترجمة الدقيقة لا سيما اذا أريد به أداء دلالة اصطلاحية خاصة .

لقد عرف مترجمو القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي ، كيف يستفيدون من المصطلحات العلمية التي استقرت في القرنين السابقين ، وحاولوا ما استطاعوا أن يؤدوا اللفظ الاجنبي بلفظ عربي ، فان عز عليهم ذلك لجأوا الى التعريب في غير اسراف ، فعربوا عن اليونانية والسريانية ، واستعانوا أيضا بالفارسية ، ولحنين ومدرسته شأن في استعمال طائفة من المصطلحات الفلسفية والطبية قُدر لها أن تحيا الى اليوم[11] .

أما أهم الترجمات التي اضطلع بها حنين بن اسحق فهي كما يلي :

١ ـ نقول حنين بن اسحق من مصنفات أرسطوطاليس :

كتاب باري أرمينياس (ومعناه العبارة) ، نقله حنين الى السريانية.

---

١١ ـ مدكور ، ابراهيم : حنين بن اسحق المترجم ـ بحث قدم الى مهرجان أفرام ـ حنين الذي انعقد في بغداد للفترة من ٤ ـ ١٩٧٤/٢/٧ ، ص ٦ ـ ٧ .

كتاب أنالوطيقا الاول (ومعناه تحليل القياس) ، نقله حنين الى السريانية •

كتاب أنالوطيقا الثاني (ومعناه البرهان) ، نقله حنين الى السريانية•

كتاب السماع الطبيعي ، نقله حنين الى السريانية •

كتاب السماء والعالم ، نقله حنين الى السريانية •

كتاب النفس (ثلاث مقالات) ، نقله حنين الى السريانية •

المقالة الحادية عشرة من كتاب الحروف والذي يعرف بالالهيات ، نقلها حنين الى السريانية ، ثم نقلها متي بن يونس الى العربية •

٢ ـ نقول حنين بن اسحق من مصنفات أبقراط :

ومن مصنفات أبقراط التي نقلها حنين بن اسحق الى العربية وهي بتفسير جالينوس ما يلي :

كتاب الفصول ، كتاب تقدمة المعرفة ، كتاب الكسر ، كتاب الماء والهواء (ثلاث مقالات) ، كتاب طبيعة الانسان (ثلاث مقالات) •

أما ما نقله حنين بن اسحق من مصنفات أبقراط الى اللغة السريانية :

كتاب عهد بقراط •

٣ ـ نقول حنين بن اسحق من مصنفات جالينوس :

ومن مصنفات جالينوس التي نقلها حنين بن اسحق دون ذكر اللغة التي نقلت اليها نذكر :

كتاب الغرق (مقالة) ، كتاب الصناعة (مقالة) ، كتاب في النبض (مقالة) ، كتاب المقالات الخمس في التشريح ، كتاب الاستقصات

(مقالة) ، كتاب المزاج (ثلاث مقالات) ، كتاب القوى الطبيعية (ثلاث مقالات) ، كتاب العلل والاعراض (ست مقالات) ، كتاب الحمايات (مقالتان) ، كتاب البحران (ثلاث مقالات) ، كتاب أيـام البحران (ثلاث مقالات) .

٤ ــ أما عن الكتب الخارجة عن الستة عشر والتي هي من تصنيف جالينوس ، فقد كان لحنين دور كبير في عملية النقل والترجمة والاصلاح للمقالات التي تتألف منها هذه المصنفات ، وذلك كما يوضحها لنا الشكل التالي :

كتاب التشريح الكبير (خمس عشرة مقالة) ، لم يذكر حنين في فهرسه من قام بنقله الى العربية ، الا أن ابن النديم يقول انه رآه بنقل حبيش الأعسم ــ اصلاح حنين للكتاب حركات الصدر والرئة بعد أن نقله الى العربية اصطفن بن بسيل لاسقاطه ثلاث مقالات ــ كتاب علل النفس (مقالتان) ، أصلحه حنين لولده ــ كتاب الصوت ، نقله حنين الى العربية للوزير محمد بن عبد الملك الزيات ــ كتاب حركة العضل ، أصلح منه حنين مقالتان ــ كتاب الحاجة الى النفس ــ كتاب الحركات المجهولة ــ اصلاح حنين لكتاب منافع الاعضاء بعد أن نقله حبيش الى العربية لاسقاطه سبع عشرة مقالة ــ كتاب أفضل الهيئات (مقالة) ــ كتاب سوء المزاج المختلف (مقالة) ــ كتاب الادوية المفردة (احدى عشرة مقالة) ــ كتاب المولود لسبعة أشهر (مقالة) ــ كتاب رداءة التنفس ، نقل منه حنين ثلاث مقالات لولده ــ كتاب الذبول (مقالة) ــ كتاب قوى الاغذية (ثلاث مقالات) ــ كتاب التدبير الملطف (مقالة) ــ كتاب الكيموس (مقالة) ــ كتاب في أن الطبيب الفاضل فيلسوف (مقالة) ــ كتاب محنة الطبيب (مقالة) ــ كتاب تعريف المرء عيوب نفسه ــ كتاب ما ذكره افلاطون في طيماوس (عشرون مقالة) ــ كتاب

المحرك الاول لا يتحرك[١٢] .

وبصدد ترجمات حنين بن اسحق لمصنفات أبقراط وجالينوس يذكر ابن جلجل :

« وحنين بن اسحق هو الذي أوضح معاني كتب أبقراط وجالينوس، ولخصها أحسن تلخيص ، وكشف ما استغلق منها ، وأوضح مشكلها »[١٣] .

أما ابن أبي أصيبعة ، فيبين لنا رأيه في ترجمات حنين لمصنفات جالينوس بعد أن اطلع على ترجمات غيره من النقلة لذات المصنفات التي نقلها حنين فيقول : « ... فلما طالعتها وتأملت ألفاظها ، تبين لي بين نقلها وبين الست عشرة التي هي نقول حنين تباين كثير وتفاوت بيّن ... وأين الألكن من البليغ والثرى من الثريا »[١٤] . ومن هذا القول يمكننا أن نتصور نوعية تلك الترجمات التي اشتهر بها حنين بن اسحق العبادي .

كذلك ما زالت توجد لحنين ترجمات كثيرة مخطوطة في مكتبات عديدة ، وهذه المخطوطات تكشف عن حرية في تصريف الترجمة ، ومقدرة عجيبة للمترجم في اللغة العربية . أما أسلوبها فسهل المتناول خال من التعقيد اذا ما قورن بأصله اليوناني مع دقة في التعبير وخلو من الحشو والغموض . وان تفضيل حنين نظريات جالينوس من الوجهة التدريسية ظاهر في كل ناحية . والى حنين وحده يرجع الفضل في تبوء

---

١٢ ـ ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٨٨ ـ ٢٩١ . كذلك القفطي : أخبار العلماء ، ص ١١٧ ـ ١٢٢ .

١٣ ـ طبقات الاطباء والحكماء ، ص ٦٩ .

١٤ ـ عيون الانباء ، ج ٢ ، ص ١٤٦ .

جالينوس أسمى المقام في الشرق خلال العصور الوسطى ، وبصورة غير مباشرة في الغرب الوسيط .

أما أبحاث أبقراط فكان ذيوعها أقل منها . لقد ترجم له حنين كتاب (تقدمة المعرفة) وبقيت ترجمته مرجعا مدرسيا للعرب المتأخرين الذين كثيرا ما تناولوه بالشرح والتعليق ، وان التراجم العربية التي يعود الفضل في نقلها الى حنين وتلاميذه حفظت لنا كثيرا من تآليف جالينوس التي ضاع أصلها اليوناني .

كان لحنين بن اسحق أنداد كثيرون يصح لنا أن نسميهم بالمترجمين العظام فضلا عن تلاميذه الذين اضطلعوا بعمل كهذا ولكنه يقل عنه أهمية ، ومن الفئة الاولى ابن أخته حبيش الأعسم وابنه الطبيب الرياضي اسحق بن حنين وتلميذه ثابت بن قرة وتلميذه الآخر قسطا بن لوقا ، وقد ركز حنين في ترجماته على الكتب الطبية ، أما رفاقه فقد انصرفوا الى ترجمة الأبحاث الفلكية والطبيعية والرياضية والفلسفية الاغريقية[١٥] . وهكذا يتضح لنا مما أوردناه آنفا من أسماء المصنفات اليونانية واللغة التي نقلت اليها ، أن اللغة السريانية قد حظيت بنصيب كبير من تلك النقول ، وان عددا قليلا منها قد تم نقله الى اللغة العربية على يد حنين خاصة[١٦] . ولكننا يجب أن نعلم أن تلك المؤلفات التي نقلها حنين الى اللغة السريانية ، قد تم نقلها الى العربية على يد أعضاء مدرسة حنين للترجمة وبخاصة على يد اسحق بن حنين وحبيش الأعسم اللذين كانا من أبرز أعضاء هذه المدرسة معرفة باللغة العربية .

---

١٥ ـ ارنولد ، توماس : تراث الاسلام ، ص ٤٥٤ ـ ٤٥٦ (بيروت ، ١٩٧٢) .

١٦ ـ وبهذا الصدد وفيما يخص ترجمات حنّين لمصنفات جالينوس يذكر القفطي : « ان حنين بن اسحق قد ترجم عشرين كتابا لجالينوس الى السريانية ، وأربعة عشر الى العربية » = أخبار العلماء ، ص ١٢٢ .

لقد ترجم حنين بن اسحق الى اللغتين السريانية والعربية ، كل ما استطاع أن يحصل عليه من تراث اليونان ، الامر الذي سهل على الراغبين في الاطلاع على نظريات اليونان في هذا المجال من تحقيق أمنيتهم • وقد صدق ابن خلكان حين قال : « ان كل كتاب لم يترجم وبقي في لغته اليونانية ذهبت فائدته »[١٧] •

والجدير بالملاحظة هنا في أمر ترجمات حنين بن اسحق ، أن البعض من ترجمات حبيش بصفة خاصة ، كانت تنسب سهوا الى حنين بن اسحق نتيجة لتشابه الاسمين الى حد ما ، مما كان له أثره الايجابي في نفسية حنين ذاتـه • وبهذا الصدد يقول الأستـاذ ت• جونز• دي بور T. Jones De Boer : (وكان أبو زيد حنين بن اسحق وابنه اسحق بن حنين وابن أخته حبيش بن الحسن الأعسم ، أوفر المترجمين انتاجا ، ونظرا لانهم كانوا يشتغلون معا ، فان كتبا كثيرة كانت تنسب للواحد منهم تارة وللآخر تارة أخرى)[١٨] • ومن جهة ثانية فان هذا العمـل يدلنا على مكانة حنين بن اسحق بين أوساط النقلة خاصة ، الامر الذي جعل من الباحثين في هذا المجال في ذلك الوقت ، أن ينسبوا الكتب التي ترجمها حبيش أو غيره من أعضاء مدرسة حنين الى مؤسس هذه المدرسة ، حنين العبادي • وفي هذا المضمار يذكر ابن النديم : « ان من سعادات حنين ، أن ما نقله حبيش بن الحسن الأعسم وعيسى بن يحيى وغيرهما الى العربية يُنخل الى حنين »[١٩] •

ومن ناحية أخرى ، فمن المعلوم أن حنين بن اسحق لم يكن ناقـلا لنفسه فحسب ، بل ان معظم نقوله كانت تتم بناء على طلب من القائمين

---

١٧ ـ وفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ٢١٨ •

١٨ ـ The History of philosophy in Islam, p. 18, London, 1933.

١٩ ـ الفهرست ، ص ٢٨٩ •

على رعاية حركة الترجمة وأبرزهم في هذا الوقت الخليفة المأمون ، الذي عهد الى حنين أن يتولى رئاسة بيت الحكمة ، حيث نقل حنين في هذا المكان القسم الاكبر من نقوله للمأمون ، وبخاصة الكتب الفلسفية التي كان المأمون مولعا بها ولعا شديدا . وفي هذا السياق يذكر الدكتور فيليب حتي : (وأول من رأس معهد بغداد ، أي بيت الحكمة ، كان حنين بن اسحق ... وكان يعاون شيخ المترجمين ، حنين بن اسحق ، في عمله ابنه اسحق وابن أخته حبيش بن الحسن الأعسم)[٢٠] . ومن جهة أخرى ، فقد كان عمل حنين في بيت الحكمة هو بمثابة المشرف العام على جميع الترجمات التي كانت تتم داخل هذا البيت ، حيث كان يتولى بنفسه اصلاح الترجمات التي لم تكن على مستوى الدرجة المطلوبة في الدقة والاتقان ، وذلك لمعرفته باللغات التي كانت تنقل منها أشهر المصنفات اليونانية والفارسية والسريانية ، وكان حنين في عمله هذا موضع تقدير وتكريم الخليفة المأمون الذي كان يثق به ويعتمد عليه في ترجماته . ومما يدلنا على شدة اهتمام المأمون بترجمات حنين ، أن الثاني كان يأخذ من الاول ذهبا زنة ما ينقله له من المصنفات مثلا بمثل[٢١] . وهذا في الحقيقة يبين لنا شيئان هما في غاية الاهمية : أولهما اهتمام المأمون الفائق بالترجمة بصفة عامة وبتراث اليونان بصفة خاصة وثانيهما على مدى الجودة التي كان يتمتع بها حنين في ترجماته وشهرته في ذلك ، الامر الذي أصبح معه مميزا عن غيره ، ومفضلا على نقلة عصره وحتى المشاهير منهم في هذا المجال .

كذلك يجب علينا أن لانتسى ذلك الدور الرائع الذي قام به حنين

---

٢٠ ـ صانعو التاريخ العربي ، ص ١٢٧ (بيروت ، ١٩٦٩) .

Makers of Arab History, p. 91, London, 1969.

٢١ ـ ابن أبي أصيبعة : عيون الانباء ، جـ ٢ ، ص ١٤٣ .

في مجال ازدهار حركة الترجمة ، والمتمثل في أسفاره الكثيرة ولمناطق مختلفة بقصد الحصول على المخطوطات اليونانية لجلبها الى بغداد والعمل على ترجمتها ، مما أدى الى رواج هذه الحركة والاستفادة من نتائجها بصورة مباشرة وسريعة .

وكانت رحلات حنين هذه تتم تلبية لطلب أبرز القائمين على أمر هذه الحركة في هذا العصر ، مثل الخليفة المأمون ، وأبناء موسى ابن شاكر الذي احتضنوا حنين ورعوه خير رعاية ، فنقل باسمهم الكثير من المصنفات[٢٢] .

ذكر ابن النديم : « دار حنين بن اسحق البلاد في جمع الكتب القديمة ... وأكثر نقوله لبني موسى »[٢٣] .

أما القفطي فيذكر في هذا المجال : « ودخل حنين الى بلاد الروم لأجل تحصيل كتب الحكمة وتوصل في تحصيلها غاية امكانه ، وأحكم اليونانية عند دخوله الى تلك الجهات وحصل نفائس هذا العلم ، وعاد يلازم بني موسى بن شاكر ، ورغبوه في النقل من اللسان اليوناني الى العربي وغرموا على ذلك الجميل العظمة ، ولم يزل معظما مكرما في زمانه مشارا اليه في هذا الشأن الى أن توفي »[٢٤] .

ومن الذين قام حنين بنقل الكتب لهم الطبيب عبد الله الطيفوري ، حيث نقل له حنين عدة كتب في الطب[٢٥] . كذلك نقل حنين بعض

---

٢٢ ــ العبادي : أحوال كتاب في تفصيل كتب جالينوس وفيما نقله حنين من كتب جالينوس ، ص ٤ ، مخطوط تحت رقم ٢٧٦ في المكتبة العامة لجامعة الاسكندرية .

٢٣ ــ الفهرست ، ص ٢٩٤ .

٢٤ ــ تاريخ الحكماء ، ص ١٧٣ .

٢٥ ــ أيضا : تاريخ الحكماء ، ص ٢١٨ .

الكتب للوزير العباسي محمد بن عبد الملك الزيات[٢٦] . كما نقل حنين لبختيشوع بن جبرائيل كتبا كثيرة من كتب جالينوس الى اللغتين السريانية والعربية[٢٧] ، اضافة الى نقوله الطبية وباللغتين السريانية والعربية لجبرائيل بن بختيشوع ويوحنا بن ماسويه .

ذكر ابن أبي أصيبعة : « ثم ان حنيناً لازم يوحنا بن ماسويه ... ونقل له كتبا كثيرة وخصوصا من كتب جالينوس بعضها الى اللغة السريانية وبعضها الى اللغة العربية »[٢٨] .

ومن الامور الاخرى الواجب ذكرها في حديثنا عن نقول حنين للبعض ممن كان ينقل لهم والمرتبطة أشد الارتباط بأخلاقية هذا الرجل ، هو أن حنيناً ــ كما هو معلوم ــ كان يأخذ أجرا لقاء ترجماته تلك ، ولكننا نراه من ناحية ثانية يستغني عن ذلك الاجر وينقل لهم دون مقابل، ومع من ؟ لا مع المأمون والمتوكل اللذان عززاه وأكرماه ، ولا مع أبناء موسى بن شاكر الذين احتضنوه وأجلّوه ... ولكن مع ألد أعدائه ــ ومن هؤلاء نذكر على سبيل المثال ، الطيفوري النصراني كاتب الخليفة المتوكل ــ والذين كانوا يكيدون له المكائد ، ويدبرون له الدسائس للتقليل من شأنه والتخلص منه ، وذلك بسبب المنزلة الرفيعة التي كان يتمتع بها حنين بن اسحق عند رعاة حركة الترجمة ، سواء أكان هؤلاء من الخلفاء ، أو من كبار الشخصيات في الدولة العباسية ، فنرى حنين معهم (أي مع أعدائه) في عفوه ودماثة خلقه على طرفي نقيض . وبهذا الخصوص يذكر لنا حنين بن اسحق : « ... وصرت أنقل لهم الكتب

---

٢٦ ــ ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٨٨ . كذلك القفطي : أخبار العلماء ، ص ١١٧ .

٢٧ ــ ابن أبي أصيبعة : عيون الانباء ، جـ ٢ ، ص ٦٢ .

٢٨ ــ عيون الانباء ، جـ ٢ ، ص ١٤٢ .

على الرسم بغير عوض ولا جزاء ، وأسارع الى جميع محابهم بعد أن كنت اذا نقلت لأحدهم كتابا أخذت منه وزنه دراهم »[٢٩] .

ولكن على الرغم من الخصال الحميدة والكثيرة التي تحلى بها الطبيب حنين بن اسحق ، الا أنه كأي انسان آخر ، لا يمكنه أن يكون كاملا في جميع صفاته ، وفيما يخص بحثنا ، نرى أن حنين بن اسحق ، قد أصاب هفوة حين كان يعمد الى استخدام الحروف الكبيرة في ترجماته لينهي الصفحة بأقل ما يمكن من مادة ذلك الكتاب المترجم ، والى استخدام الورق السميك ليكون أكثر وزنا ، ومن تم ليكون الاجر مضاعفا . ولكن على الرغم من ذلك ، فقد كان لهذا الأسلوب ايجابياته ، مما يخفف في نظرنا من وطأة سلبياته ، وتكمن هذه الأيجابيات ، بأنه لولا ذلك الورق السميك والحروف الكبيرة ، لما استطاعت تلك الترجمات أن تصمد كل هذه الفترة الطويلة من عمرها ، أو أن تسهل قرائتها ، هذا اذا ما أحسنا الظن في هذا الاسلوب الذي لجأ اليه حنين في كتابة ترجماته . وبهذا الصدد يذكر ابن أبي أصيبعة : « ... ولقد وجدت من هذه الكتب ــ أي التي اتسمت بالسمات المذكورة أعلاه ــ كتبا كثيرة ، وكثيرا منها اقتنيته ، وهي مكتوبة بحروف كبار وبخط غليظ في أسطر متفرقة ، وورقها كل ورقة منها بغلظ ما يكون من هذه الاوراق المصنوعة يومئذ ثلاث ورقات أو أربع ... وكان قصد حنين بذلك تعظيم حجم الكتاب وتكثير وزنه لأجل ما يقابل به من وزنه دراهم ، وكان ذلك الورق يستعمله بالقصد ، ولا جرم أن لغلظه بقي هذه السنين المتطاولة من الزمان »[٣٠] .

---

٢٩ ــ ابن أبي أصيبعة : عيون الانباء ، جـ ١ ، ص ١٩٧ .

٣٠ ــ عيون الانباء ، جـ ١ ، ص ١٩٧ .

وفي مجال الطب ، فقد كان لحنين بن اسحق ، شأن آخر لا يقل في أهميته عن شأنه في حركة الترجمة ، فقد كان علم الطب هو الشغل الشاغل لحنين في أول حياته ، وهو الذي أدى به فيما بعد الى الدور الذي تألق ولمع نجمه فيه ، وأعني به دوره في حركة الترجمة .

لقد كان حنين بن اسحق طبيبا مبرزا بين أقرانه من أطباء عصره ، وان خبرته ودرايته في هذا المجال هي التي أوصلته الى تلك المنزلةالرفيعة التي كان يتمتع بها . كان حنين بن اسحق ــ كما يتبين لنا ذلك من دراسة ما خلفه لنا من مصنفات ــ يعتمد على التجربة والبرهان في اثبات آرائه وفحوصه الطبية ، وان بحوثه في هذا الحقل ترينا بشكل جلي أن حنيناً هذا كان خبيرا الى أبعد الحدود بتراكيب جسم الانسان الداخلية كخبرته بتراكيبه الخارجية[٣١] .

ومن ناحية أخرى ، أود القول هنا : انه اذا اختلفت المصادر التي ترجمت لحنين في أمر ما ، فانها لم تختلف ازائه في هذه الناحية ، حيث أجمعت[٣٢] بصورة كلية ، على أنه كان امام وقته في صناعة الطب ، وان تآليفه في هذه الصناعة هي من أفضل ما تكون عليه التآليف في مثل هذه الاحوال . وما يقال عن المصادر يماثله ما وجدناه عند كافة

---

٣١ ــ وللدلالة على ما أوردناه أعلاه راجع العبادي : مسائل حنين في منافع الترياق وغيره ، ص ٦ ظهر ، مخطوط تحت رقم ٥٨ في المكتبة العامة لجامعة الاسكندرية .

٣٢ ــ راجع ابن جلجل : طبقات الاطباء والحكماء ، ص ٦٨ ، ابن النديم. الفهرست ، ص ٢٩٤ ، القفطي : أخبار العلماء ، ص ١١٧ ــ ١١٨ ، القفطي: تاريخ الحكماء ، ص ١٧١ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جـ ٢ ، ص ٢١٧ ــ ٢١٨ ، ابن العبري ، غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون : مختصر تاريخ الدول ، ص ٢٦٣ (بيروت ، ١٨٩٠) .

المراجع[٣٣] التي اعتمدنا عليها في بحثنا هذا وفي هذا المضمار بالذات . حيث أشادت جميعها بعبقرية حنين في هذا المجال ترجمة وتأليفا .

وحري بنا هنا ونحن نتكلم عن حنين بن اسحق الطبيب ، أن نرجع قليلا الى الوراء ، الى أول عهد حنين بهذه الصناعة ، وغايتنا في ذلك ، أن هذه الفترة الزمنية من تاريخ حنين في هذا المسلك ورغبته في تعلم هذه المهنة ، كانت لها أبلغ الأثر في نفسية حنين وتصميمه الأكيد على ممارستها رغم كل العوائق التي اعترضت سبيله ، وكان له بالفعل ماأراد، حتى أصبح الطبيب المفضل عند البعض من خلفاء بني العباس مـن عاصرهم حنين . وغايتنا في أول عهد حنين بصناعة الطب يجسدها لنا القفطي الذي يذكر في هذا الباب : « ... فلما نشأ حنين أحب العلم فدخل بغداد ، وحضر مجلس يوحنا بن ماسويه وجعل يخدمه ويقرأ عليه ، وكان حنين صاحب سؤال ، وكان يصعب على يوحنا ، فسأله في بعض الايام مسألة مستفهم ، فغضب يوحنا وقال : ما لأهـل الحيرة والطب ، عليك ببيع الفلوس في الطريق ، وأمر به وأخرج من داره ، فخرج حنين باكيا ، وسبب هذا العمل أن هؤلاء الجنديسابوريين ، كانوا يعتقدون أنهم أهل هذا العلم ولا يخرجونه عنهم وعن اولادهم وجنسهم ، وغاب حنين سنين . ثم ذكر يوسف الطبيب[٣٤] ، أن حنينا قال له : ذكر يوحنا بن ماسويه أنه كان من المحال أن يتعلم الطب عبادي، فأنا بريء من دين النصرانيـة ان رضيت أن أتعلم الطب حتى أحكم

---

٣٣ ـ ومن هذه المراجع نذكر على سبيل المثال :

Arnold, The Legacy of Islam, p. 318, Seel, R.E., The Faith of Islam, p. 182, Madras, 1880.

٣٤ ـ هو أحد الاطباء الرواة الذين عاصروا حنين بن اسحق ، وعـلى روايات يوسف هذا ، اعتمد القفطي وابن أبي أصيبعة في كثير من المعلومات التي تضمنها كتاب تاريخ الحكماء ، وكتاب عيون الانباء .

اللسان اليوناني ... ثم دخلت يوما على جبرائيل بن بختيشوع فوجدت عنده حنيناً وقد ترجم له أقساما قسمها بعض الروم في كتاب من كتب التشريح لجالينوس ، وجبرائيل يخاطبه بالتبجيل ، فأعظمت ما رأيت ، وتبين ذلك جبرائيل مني ، فقال : لا تستكثر هذا مني في أمر هـذا الفتى ، فوالله لئن مد له في العمر ليفضحن سرجس[٣٥] . وسرجس هذا من نقلة علوم اليونانيين الى السرياني ، وخرج حنين من عنده ، ثـم خرجت ، فاذا حنين قائم ينتظرني ... فأخرج من كمه نسخة وقال لي : تدفع هذا الى يوحنا ، فاذا رأيته قد اشتد اعجابه بها ، فاعلمه أنها من اخراجي ، ففعلت ذلك من يومي . فلما قرأ يوحنا تلك الفصول وهي المسماة بالجوامع ، كثر تعجبه بها ، وقال : ترى هل أوحى الله تعالى في دهرنا الى أحد ؟ فقلت له : كيف ؟ قال : ليس هذا الا اخراج مؤيد بروح القدس . فقلت : هذا اخراج حنين بن اسحق الذي طردته من مجلسك ... فتحير وسألني التلطف في اصلاح ما بينهما ، ففعلت ذلك ، فأفضل عليه يوحنا وأحسن اليه . ولم يزل أمره يقوى ، وعلمه يتزايد ، وعجائبه تظهر في النقل والتفاسير حتى صار ينبوعا للعلوم ومعدنـا

---

٣٥ ـ نقل كتبا كثيرة وكان متوسطا في النقل ، وكان حنين يصلح نقله ، فما وجد باصلاح حنين فهو الجيد ، وما وجد غير مصلح فهو وسط ... وكان فاضلا ، وله مصنفات كثيرة في الطب والفلسفة = ابن أبي أصيبعة : عيون الانباء ، جـ ٢ ، ص ١٢ ، ١٧٣ . كذلك ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ، ص ١٤٩ .

وسرجس المترجم هذا هو راهب وطبيب عراقي ، أحاط بالعلم الاسكندري ، ولم يقتصر في الترجمة على كتب الالهيات والاخلاق والكتب المصطبغة بصبغة التصوف ، بل شملت ترجمته فوق ذلك كتب الطبيعة والطب والفلسفة . وترجم السريان ما ترجموه من كتب اليونـان بأمانة في الجملة ، خصوصا سرجس =

De Boer, The History of philosophy, p. 15.

دي بور : تاريخ الفلسفة في الاسلام، ص ٢٥ ـ ٢٦ (القاهرة، ١٩٥٧).

للفضائل ، فلما انتشر ذكره بين الأطباء ، اتصل خبره بالخليفة ، فأمر باحضاره ، ولما أحضر ، أقطع اقطاعا سنياً ... وكان الخليفة يسمع علمه ولا يأخذ بقوله دواء يصفه حتى يشاور غيره ، وأحب امتحانه ليزول مافي نفسه عليه ... فقد ظن الخليفة أن ملك الروم ربما كان قد عمل شيئا من الحيلة (بالاتفاق مع حنين بن اسحق أيام كان حنين في بلاد الروم) فاستدعى الخليفة حنين بن اسحق ، وأمر بأن يخلع عليه ، وأخرج توقيعا له فيه اقطاع يشتمل على خمسين ألف درهم ، فشكر حنين هذا الفعل ، ثم قال له الخليفة : أريد أن تصف لي دواء يقتل عدوا نريد قتله ، وليس من الممكن اشهار هذا ونريده سرا . فقال حنين : ما تعلمت غير الادوية النافعة ، ولا علمت أن أمير المؤمنين يطلب مني غيرها ، فان أحب أن أمضي وأتعلم فعلت . فقال الخليفة : هذا شيء يطول . ثم رغّبه وهدده ، وهو لا يزيد على ما قال الى أن أمر بحبسه في بعض القلاع ووكل به من يرفع خبره اليه وقتا بوقت ، فحبس سنة ، وكان في حبسه ينقل ويفسر ويصنف وهو غير مكترث بما هو فيه . ولما كان بعد سنة ، أمر الخليفة باحضاره ، واحضار أموال يرغبه فيها ، واحضار سيف وسائر آلات العقوبات . ولما حضر ، قال له الخليفة : هذا شيء قد طال ، ولا بد لي مما قلته لك ، فان أنعمت فزت بهذا المال وكان لك عندي أضعافه ، وان امتنعت عاقبتك وقتلتك . فقال حنين : قد قلت لأمير المؤمنين اني ما أحسن غير الشيء النافع ولا تعلمت غيره . قال الخليفة : فانني أقتلك . فقال حنين : لي رب يأخذ بحقي غدا في الموقف الاعظم ، فان اختار أمير المؤمنين أن يظلم نفسه فليفعل ، فتبسم الخليفة وقال له : يا حنين طب نفساً وثق بنا ، فهذا الفعل منا كان لامتحانك ، لاننا حذرنا من كيد الملوك ، فأردنا الطمأنينة اليك والثقة بك لننتفع بعلمك ، فقبّل حنين الارض وشكر له . فقال له الخليفة : ما الذي منعك من الاجابة مع ما رأيته من صدق الامر منا في الحالين . قال

حنين : شيئان يا أمير المؤمنين . قال الخليفة : وما هما ؟ قال حنين : الدين والصنعة . قال الخليفة : وكيف ؟ قال حنين : الديـــن يأمرنا باستعمال الخير والجميل مع أعدائنا فكيف ظنك بالاصدقاء . والصناعة تمنعنا من الاضرار بأبناء الجنس لانها موضوعة لنفعهم ومقصورة على معالجتهم ، ومع هذا فقد جعل في رقاب الاطباء عهد مؤكد بايمان مغلظة ، أن لا يعطوا دواء قتالا ، فلم أر أن أخالف هذين الامرين الشريفين ، وطوعت نفسي على القتل ، فان الله تعالى ما كان يضيع لي بذل نفسي في طاعته . فقال الخليفة : انهما شرعان جليلان ، وأمر بالخلع ، فأفيضت عليه وحمل المال معه ، فخرج وهو أحسن الناس حالا وجاهاً . فانظر الى ثمرة الدين والعلم ، ما أحلاهما وأحسن منظرهما وفخرهما »[٣٦] . وفي رأيي أن نجاح حنين بن اسحق هذا انما يكمن في أن حنيناً كان بحق انسانا قبل كل شيء ، وكان طبيبا قد حافظ على شرف وقسم مهنته الجليلة ، ولعل هذه الحادثة خير برهان على ذلك .

وهكذا يتبين لنا مما أوردنا آنفا ، أن صاحبنا هذا ، قد أصبح بعد جهد ومثابرة ، الطبيب المفضل عند أستاذه الاول يوحنا بن ماسويه ، الذي يدلنا قوله عندما رأى نموذجا من ترجمة حنين ، أن تلك الترجمة كانت في غاية الدقة ، وعليه فلا نعجب بعد ذلك مما وصل اليه حنين من مكانة سامية عند رعاة حركة الترجمة ومن الصفين : الخلفاء ، وكبار الشخصيات في الدولة .

أما فيما يتعلق بمصنفات حنين بن اسحق ، فانها كانت كثيرة جدا ، بل ان مكانة حنين في هذا المضمار تحتم علينا أن نضعه في المرتبة الثانية

---

٣٦ ـ تاريخ الحكماء ، ص ١٧٤ ـ ١٧٥ ، ١٧٦ ـ ١٧٧ . كذلك ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٦ .

من بعد الفيلسوف يعقوب بن اسحق الكندي ، ومن هذه المصنفات نذكر :

كتاب أحكام الاعراب على مذاهب اليونانيين (مقالتان) ــ المسائل في الطب للمتعلمين ، وزاد فيها حبيش الأعسم تلميذه. وعن هذا الكتاب يقول مصطفى بن عبد الله المعروف بحاجي خليفة : « وهذا الكتاب نافع جدا للمبتدئين ... تم ان حبيش قد زاد فيه من عنده ولذلك يوجد هذا الكتاب معنوناً بكتاب المسائل الحنين بزيادات حبيش الأعسم وفصوله بحسب عدد المسائل »[٣٧] ــ الحمام (مقالة) ــ اللبن (مقالة) ــ الاغذية (ثلاث مقالات) . وبخصوص مؤلفات حنين في مضمار الاغذية يذكر القفطي : « ... وألف في الاغذية كتابا عجيبا ، وله في الاغذية كتابا على تدبير الصحة ، لم يسبق اليه أحد »[٣٨] ــ علاج العين (عشر مقالات) ــ تقاسيم علل العين (مقالة) ــ اختيار أدوية علل العين (مقالة) ــ علاج أمراض العين بالحديد (مقالة) ــ آلات الغذاء (ثلاث مقالات) ــ الاسنان واللثة (مقالة) ــ معرفة أوجاع المعدة وعلاجها (مقالتان) ــ في المد والجزر (مقالة) ــ في السبب الذي صارت مياه البحر له مالحة (مقالة) ــ الالوان (مقالة) ــ في البول على طريق المسألة والجواب (مقالة) ــ المولودين لثمانية أشهر (مقالة) ، عمله لأم ولد المتوكل ــ الترياق (مقالتان) ــ العين على طريق المسألة والجواب (ثلاث مقالات) ــ ذكر ما ترجم من الكتب (مقالتان) ــ القرن وتولده (مقالة)[٣٩] .

---

٣٧ ــ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ج ٢ ، ص ١٦٦٨ ، (طهران ، ١٣٧٨ هـ) .

٣٨ ــ أخبار العلماء ، ص ١١٨ .

٣٩ ــ ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٩٤ ــ ٢٩٥ . كذلك القفطي : أخبار العلماء ، ص ١٢١ ــ ١٢٢ .

ومن مؤلفات حنين أيضا : كتاب (المنهج المنير في معرفة أسماء العقاقير)[٤٠] ، وقد ذكر لنا حنين في مقدمة كتابه هذا ، الاسباب التي حدت به الى تصنيفه مما لا حاجة بنا هنا الى ذكرها .

كانت مؤلفات حنين متنوعة في مادتها ، فقد بحث في الطب ، والفلسفة ، والمنطق ، ولكن معظم مؤلفاته كانت تدور حول مهنته الاصلية وهي الطب . وقد اعتمد حنين في مؤلفاته الطبية على ما ترجمه من مصنفات لمشاهير أطباء اليونان مثل جالينوس ، وأبقراط ، وهي المؤلفات ذاتها التي نالت أهمية خاصة عند حنين في ترجماته لتراث اليونان الطبي .

والجدير بالذكر هنا ، أن حنين بن اسحق ، كان أقدم طبيب عربي من بعد أستاذه يوحنا بن ماسويه ـ قد كتب في أمراض العيون بصورة علمية منظمة ، وكتابه (العشر مقالات في العين) ، هو الكتاب الطبي الأول الذي يبحث في العين بأسلوب علمي دقيق ، وليس ذلك فحسب ، بل ان مؤلفات حنين في هذا القسم ، قد طغت على مؤلفاته الطبية الاخرى . ومن تصانيف حنين بن اسحق الباقية الى الآن في هذا المضمار : كتاب (حكمة العين)[٤١] ، وكتاب (مسائل في العين)[٤٢] .

ومن مميزات مؤلفات حنين في هذا المجال (طب العيون) ، ان البعض منها قد كتب عن طريق ما يعرف اليوم بأسلوب المناقشة الاجتماعية ، أو ما عرفه حنين باسم (طريق المسألة والجواب) ، حيث كان حنين يطرح السؤال أولا ثم يبدأ بالاجابة عليه ، ومن هنا جاءت

---

٤٠ ـ مخطوط تحت رقم ١٩ و ٢٣٢ و ٢٧٣ في المكتبة العامة لجامعة الاسكندرية .

٤١ ـ مخطوط تحت رقم ٥١ في المكتبة العامة لجامعة الاسكندرية .

٤٢ ـ مخطوط تحت رقم ٢٤٤ في المكتبة العامة لجامعة الاسكندرية .

تسمية هذه المؤلفات بهذا الاسم . وهذه الطريقة تساعد الى حد كبير في فهم مضمون المادة . وبهذا الصدد يقول القفطي : « وكان حنين بن اسحاق حسن النظر في التأليف والعلاج ... وله تآليف نافعة بارعة مثقفة ... وصنفها على سبيل المسألة والجواب وأحسن في ذلك »[٤٣]. ومن مصنفات حنين على طريق المسألة والجواب : كتاب حنين بن اسحق في العين مائتا وسبع مسائل ، ألفه لولديه : داود واسحق[٤٤] .

وعلى الرغم من ذلك ، فان طب العيون ، لم يكن هو الفرع الوحيد الذي نال اهتمام حنين في المجالين النظري والعملي ، بل ما من قسم من أقسام هذا العلم الا وترك فيه صاحبنا أثرا نستدل من خلاله على ماوصل اليه حنين من خبرة وكفاءة في هذا المجال .

ذكر أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي : « ... ولم يترك حنين ابن اسحق مجالا في الطب الا وسلكه وصنف فيه الكثير من المؤلفات ، ومن هذه المجالات التي سلكها حنين في مجال الطب هو الطب البيطري وله فيه تصنيفا »[٤٥] .

أما فيما يتعلق بكتبه الفلسفية والمنطقية ، فهي الاخرى على جانب كبير من الاهمية كماً ونوعا ، وقد كان لما نقله حنين من تراث يوناني فيهما ، خير معين له فيما كتبه في هذين الحقلين . ومن جهة ثانية ، فان شهرة حنين في هذا الجانب قد بلغت حدا ، اعتبر معها بنظر البعض من

---

٤٣ ـ أخبار العلماء ، ص ١١٧ ـ ١١٨ .

٤٤ ـ مخطوط تحت رقم ٢٧٤ و ٢٧٥ و ٢٧٧ في المكتبة العامة لجامعة الاسكندرية .

٤٥ ـ صبح الأعشى في صناعة الانشا ، جـ ١ ، ص ٤٧٤ (القاهرة ، ١٩٦٣) .

المصادر[٤٦] ، من العلماء بالفلسفة .

وفي بحثنا لمؤلفات حنين بن اسحق ، يجب علينا أن لا نغفل ما ذكرته المراجع بهذا الشأن ، حيث أشادت جميعها بذلك الدور الذي مثله حنين بن اسحق في اغناء المكتبة العربية بأهم المصنفات التي اعتمدها في حياته العملية وأهمية ذلك على الحركة الثقافية في عصره والعصور التالية لـه .

لقد جمع حنين في حياته بن أبرز عملين امتـاز بهما القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي من الناحية الحضارية ، وأعني بهما الترجمة والتأليف ، وقد استطاع أن يوفق بينهما فحقق بذلك مجدا عظيما قلّ من تمكن من تحقيقه .

ومن الامور الاخرى التي يجب على الباحث أن يتعرض لها في سياق بحثه لهـذه الشخصية العربية ، هو ما ورد عنـد المؤرخ ابن جلجل بخصوص العلاقة التي ربطت بين حنين بن اسحق والخليل بن أحمد الفراهيدي ، حيث يقول : « ... ونهض حنين من بغداد الى أرض فارس ، وكان الخليل بن أحمد النحوي بأرض فارس فلزمه حنين حتى برع في لسان العرب ، وأدخل حنين بن اسحق العبادي كتاب العين ـ وهو أحد الكتب التي صنفها الخليل بن أحمد ـ الى بغداد ... »[٤٧].

والجدير بالملاحظة هنا ، أن ابن جلجل في قوله هذا قد وقع في خطأين اثنين : أولهما عندما قال ان الخليل بن أحمد كان بأرض فارس . وثانيهما عندما ذكر عن ملازمه حنين بن اسحق للخليل بن أحمد وتعلمه

---

٤٦ ـ صاعد الاندلسي : طبقات الامم ، ص ٤٠ ، الشهرستاني : الملل والنحل ، جـ ٣ ، ص ٥ ، السبكي ، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ ٣ ، ص ٢٧ (القاهرة ، بدون تاريخ) .

٤٧ ـ طبقات الاطباء والحكماء ، ص ٦٨ .

العربيةعلى يديه . فبالنسبة الى الخطأ الاول ، فمن المعلوم أن الخليل بن أحمد كان بأرض البصرة وليس بأرض فارس كما قال ابن جلجل ، وعن كتابه نقل الخبر جميع الذين ترجموا لحنين من القدامى والمحدثين ، غير أن معظمهم قد ذكروا أن لقاء الرجلين كان في البصرة لا في فارس ، لان الخليل بن أحمد لم يدخلها في حياته . وبهذا الخصوص يقول صاعد الاندلسي : « ... وتعلم العربية في البصرة من الخليل بن أحمد ... ولم يكن الخليل بن أحمد بأرض فارس وانما كان بالبصرة »[٤٨] .

أما بالنسبة للخطأ الثاني ، فالصحيح هو أن كلا الرجلين : حنين بن اسحق والخليل بن أحمد لم يلتقيا في حياتهما قطعا ، وذلك بسبب أن الخليل بن أحمد الفراهيدي كان قد توفي سنة ١٧٠ هـ/٧٨٦ م ، كما جاء ذلك عند ابن النديم[٤٩] ، ومعظم المصادر الاخرى التي ترجمت له ، في حين أننا نعلم أن حنين بن اسحق لم يكن موجودا في هذه السنة ولا حتى في السنين السابقة لانه لم يكن قد ولد بعد ، اذ أن ولادته كانت في سنة ١٩٤ هـ/٨٠٩ م ، أي بعد مرور أربع وعشرون عاما على وفاة الخليل بن أحمد . اذن كيف يلتقي كل منهما بالآخر والحالة هذه من التفاوت الكبير بين وفاة الخليل وولادة حنين ؟ وهذا هو في الحقيقة ما كان قد تنبه له ونبّه عليه المؤرخ صاعد الاندلسي . فقد عقب على هذا الخبر بقوله : « ولم يكن الخليل بن أحمد بأرض فارس وانما كان بالبصرة وتوفي بها في سنة سبعين ومائة ، وبين وفاته ووفاة حنين المذكور تسعون سنة فانظر »[٥٠] . وبذكر هذه الحقيقة ينفرد صاعد

---

٤٨ ـ طبقات الامم ، ص ٤٧ . كذلك ابن أبي أصيبعة : عيون الانباء ، جـ ٢ ، ص ١٣٩ .

٤٩ ـ الفهرست ، ص ٢٤ ـ ٤٣ ، ٧٠ . كذلك الشريشي ، أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن : مقامات الحريري ، جـ ٢ ، ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧ (القاهرة ، ١٣٠٠ هـ) ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جـ ٢ ، ص ١٥ ـ ١٨ .

٥٠ ـ طبقات الامم ، ص ٤٧ ـ ٤٨ .

الاندلسي بين جميع المصادر التي أرخت للرجلين • ومن جهة أخرى ، فان قول صاعد الاندلسي هذا يفيدنا في ناحية أخرى هي في غاية الاهمية. وأعني بها تحديد سنة الوفاة لحنين بن اسحق ، حيث حدد صاعد الاندلسي الفترة الزمنية بين وفاة الخليل ووفاة حنين بتسعين عاما . ولما كانت وفاة الخليل هي في سنة ١٧٠ هـ ، فان اضافة التسعين عاما ـ التي هي فرق الوفاة بينهما ـ الى سنة ١٧٠ هـ ، يكون الناتج لدينا يساوي سنة ٢٦٠ هـ/٨٧٣ م ، وهي السنة التي توفي فيها حنين بن اسحق وكما ذكر ذلك ابن النديم ، والقفطي ، وابن خلكان •

اذن يتبين لنا مما تقدم ، أن ما أورده ابن جلجل عن اللقاء بين الخليل بن أحمد وبين حنين ابن اسحق ، ما هو الا وهم تاريخي وقع فيه ونقله عنه من جاء بعده من المؤرخين ، ولم يلتفتوا الى ذلك سوى صاعد الاندلسي الذي يبين لنا قوله المذكور آنفا مبلغ تعجبه ودهشته من هذا الخبر ، ولو أن صاعدا ذاته قد أورد ذات الخبر الذي ذكره ابن جلجل ، الا أنه لم يذكره كما ذكره غيره من المؤرخين كالقفطي ، وابن أبي أصيبعة ، وابن العبري ، وانما عقب على ذلك بقوله الذي أوردناه آنفا والذي يوضح اللبس والغموض في هذه الرواية •

ومن جهة أخرى ، فان هنالك عدد لا يستهان به من الباحثين المحدثين الذين غفلوا عن هذا الموضوع كما غفل من قبل من بحث في تاريخ حنين من المؤرخين الاوائل • ومن هؤلاء الباحثين نذكر لا على سبيل الحصر الاستاذ أحمد أمين الذي يذكر بهذا الخصوص : (••• ثم عاد حنين الى البصرة ولازم الخليل بن أحمد يأخذ عنه العربية)[٥١] • ومثل الاستاذ أمين ، الدكتور عمر فروخ الذي يقول في هذا المجال :

---

٥١ ـ ضحى الاسلام ، ج ١ ، ص ٢٨٣ (القاهرة ، ١٩٥٦) •

(وتبحر حنين في العربية على يد الخليل بن أحمد)[٥٢] .

والخلاصة ، فقد كان حنين بن اسحق ، ناقلا لامعا ، استطاع أن ينقل الى اللغتين السريانيةوالعربية ، أهم تراث اليونان الطبي والفلسفي. وحنين بن اسحق ، هو أول من أسس مدرسة خاصة للترجمة ، تأخذ على عاتقها تعريف العرب بما حوته الحضارة اليونانية من مؤلفات قيمة في شتى صنوف العلم ، فكان بذلك قدوة لأن يحتذى بمثله في هذا المجال ، وكان ثابت بن قرة المترجم ، هو أول من قلّد حنين في مدرسته هذه ، فأسس مدرسة مماثلة ، جمعت بين أعضائها أشهر أطباء ونقلة مدينة حران .

وان نظرة سريعة على أسماء المصنفات التي نقلها حنين من اليونانية الى السريانية أو العربية ، يتبين لنا أهمية ذلك العمل الذي أنجزه حنين في مجال الترجمة . وان ما اصطلح على تسميته بحامل لواء حركة الترجمة[٥٣] ، أو عميد المترجمين[٥٤] ، أو شيخ المترجمين[٥٥] أو من

---

٥٢ ــ تاريخ العلوم عند العرب ، ص ١١٧ (بيروت ، ١٩٧٠) . كذلك آبو ريان ، محمد علي : تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام ، ج ١ ، ص ٩٢ (بيروت ، ١٩٧٠) ، المعلوف ، عيسى : تاريخ الطب عند العرب ، ص ١١ (بيروت ، ١٩٣٥) ،

Khuda Bukhsh, Salahuddin, Contributions to hte History of Islamic Civilization, vol. I, p. 29, Calcutta, 1929, Tritton, A. S., The Caliphs and their Nor-Muslim Subjects, p. 167, London, 1970

٥٣ ــ بدوي ، عبد الرحمن : التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ، ص ١١٨ (القاهرة ، ١٩٤٦) .

٥٤ ــ Bertram, Thomas, The Arabs, p. 189, London, 1937.

٥٥ ــ Husaini, A. Q. Saiyid, Arab Administration, p. 210, Lahore 1961.

مشاهير النقلة[٥٦] ، أو من أكابر المترجمين[٥٧] ، الى غير ذلك من أسماء أطلقها الباحثون على حنين بن اسحق ، لم تكن أسماء لمجرد الاسم ، بل هي تنطوي على مغزى مادي ومعنوي اكتنف حياة حنين ، وان كل متتبع لسيرته سيعجب حتما من ذلك التراث الكبير الذي خلفه حنين بن اسحق ، سواء أكان ترجمة أم تأليفا .

وأخيرا ، نظرة اجلال واحترام لذلك الرجل الذي عمل دون كلل أو ملل في سبيل انعاش حركة الترجمة وازدهار الحضارة ، ذلك هو الانسان والطبيب والمترجم والفيلسوف حنين بن اسحق العبادي .

* * *

---

٥٦ ـ Seel, The Faith of Islam, p. 182.

٥٧ ـ Bartold, V. V., Mussulman Culture, p. 14, Calcutta, 1934.